نصائح للمجاهد في زمن الفتن

للشيخ

د. سامي العريدي

تقديم

الشيخ أيمن الظوهري



نصائح للمجاهد في زمن الفتن

الشيخ: د. سامي العريدي

- تقديم الشيخ د. أيمن الظواهري -

نُخْبَةُ الْفِكْرْ
جمادى الآخر 1438 هـ – مارس 2017 م

تقديم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

فقد اطلعت على رسالة (نصيحة للمجاهد في زمن الفتن) لفضيلة الشيخ سامي العريدي، فوجدتها على صغر حجمها، رسالة مرشدة مفيدة –بتوفيق الله– للمجاهد في زمن الفتن.

والمجاهد من أحوج الناس لأن يتبصر طريقه في زمن الفتن، فإنه يحمل سلاحه، ويقاتل به، وبه عليه أن يسفك الدم بحق، ويأخذ المال بحق، ويضعه في حق، وقد يأسر أو يدمر أو يتلف.

وكل هذه الأفعال عظيمة الخطر كبيرة العواقب، فإن لم يلتزم فيها بأحكام الشرع، أهلك نفسه، وأفسد في الأرض.

والمجاهد ليس معصومًا من الذنوب والمعاصي والبدع لمجرد كونه مجاهدًا، فقد رأينا في التاريخ القديم كيف ضل الخوارج، وحملوا السيف على أمة مُحَمّد ﷺ، ورأينا كيف كفر الرافضة أصحاب رسول الله ﷺ، ورأينا أئمة الجور كيف عطلوا الأحكام، وأزهقوا الأنفس، بل وأحرقوا الكعبة.

وفي التاريخ الحديث رأينا الجهاد الأفغاني، وكيف تحول بعد خروج الروس من أفغانستان إلى حرب على السلطة والسلب والنهب، بل وانتشر الفساد بين من كانوا مجاهدين، إلى أن قيض الله نشوء حركة طالبان ثم قيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان، فجنى المسلمون –بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتحكيمهم للشريعة وجهادهم للمفسدين– ثمار الجهاد، التي كادت أن تضيع على أيدي من فسد من المجاهدين.

وفي مغرب الإسلام رأينا كيف تقهقر الجهاد بعد أن اقترب من النصر نتيجة إجرام الغلاة الجهال، وكاد الجهاد أن يضيع لولا ثبات أهل الصلاح والاستقامة من المجاهدين، الذين أعادوا سفينة الجهاد لمسارها الصحيح بنعمة الله وتوفيقه.

ورأينا في البوسنة كيف هب المجاهدون من كل ديار الإسلام للدفاع عن حرمات المسلمين، ثم صاروا مجرمين مطاردين نتيجة لتنازلات الساسة العلمانيين.

ورأينا في فلسطين كيف يضيع الساسة تضحيات الشباب المسلم في متاهات الدساتير العلمانية والاعتراف بشرعية باعة فلسطين.

ورأينا في العراق بعد استشهاد الشيخين أبي مصعب وأبي حمزة –رحمهما الله– كيف تسلق لقيادة المجاهدين مجموعة من طلاب السلطة، من أجلها استحلوا التكفير والقتل والغدر والكذب.

فالمقصد أن المجاهد ليس معصومًا من الفتن ولا محميًا من الذنوب لمجرد كونه مجاهدًا.

فعليه أن يحذر أشد الحذر من الفتن والمعاصي.

وهذه الرسالة المختصرة أرجو أن تكون معينة له على ذلك.

وجزى الله كاتبها وكل من نفع وانتفع بها خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا مُحَّد وآله وصحبه وسلم.

أيمن الظواهري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله مُحَمَّد وعلى الأنبياء والرسل أجمعين، رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، وبعد:

فإن الله تبارك وتعالى حذر عباده من الفتن وأمرهم باجتنابها فإن الفتن تؤثر على سير العبد إلى الله فتحرفه عن الصراط المستقيم أو تشغله عن المقصد العظيم الذي يسعى له في هذا الزمان وهو تحقيق العبودية لله وتحكيم شريعته.

فمن اجتباه الله من بين عباده وأفهمه هذا المقصد العظيم واستخدمه في هذا الزمان لتحقيقه لا ينشغل عن مقصده العظيم وغايته النبيلة بما دونه من مقاصد وغايات لا تساعده في تحقيق هذا المقصد العظيم وإن كانت في أصلها مباحة فالوقت قصير والواجب عظيم إنه نصرة دين رب العالمين قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

فالسائر في طريق نصرة الدين وتحكيم الشريعة يجب أن يجتنب كل العوائق التي تؤثر عليه في طريقه لتحكيم والشريعة ومن أخطر هذه العوائق (الفتن) فالفتن إذا استحكمت من العبد لا تمنعه من السير في طريق تحكيم الشريعة فحسب بل إنها تجعله أداة هدم لهذا المشروع العظيم كما هو مشاهد اليوم من حال كثير ممن استحكمت منه الفتن نسأل الله السداد والعافية والثبات.

ولعظم دور الفتن وخطرها العظيم في إبعاد الناس وإشغالهم عن الصراط المستقيم وجدنا معظم الكتب الجامعة احتوت على باب أو أبواب تتحدث عن الفتن وما يتعلق بها ووجدنا من العلماء في كل عصر ومصر من يفردها بمصنف مستقل

فلا بد للسائر في هذا الطريق القويم والقائم بهذا الواجب العظيم في هذا الزمان أن يجتنب الفتن وأسبابها وأن يحذر إخوانه السائرين معه من الفتن وأن يتواصوا بينهم لاجتناب الفتن والتحذير منها قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

وقال تعالى: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

وروى الإمام مسلم عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبدالرحمن بن عبد رب الكعبة قال: "دخلت المسجد فإذا عبدالله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست إليه فقال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة

جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضها وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر).[1]

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول: (لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال: (نعم إذا كثر الخبث)."[2]

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: "أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة ثم قال: (هل ترون ما أرى إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر).[3]

وإذ كان الأمر كذلك فهذه مجموعة من النصائح والخواطر في هذا الباب أقدمها لأحبتي وإخواني الساعين لإقامة الدين وتحكيم شرع رب العالمين في هذا الزمان.

تعريف الفتنة:

قال الأزهري –رحمه الله-:"جماع معنى الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد"[4].

وقال ابن الأعرابي: "الفتنة الاختبار والفتنة المحنة والفتنة المال والفتنة الأولاد والفتنة الكفر والفتنة اختلاف الناس بالآراء والفتنة الإحراق بالنار وقيل الفتنة في التأويل الظلم يقال فلان مفتون بطلب الدنيا قد غلا في طلبها".[5]

قلت: والفتنة في لسان الشرع تطلق على معاني متعددة تفهم من السياق الواردة فيه قال ابن القيم –رحمه الله-: "وأما

---

[1] صحيح مسلم: (1844).

[2] صحيح البخاري: (7059)، صحيح مسلم: (2880).

[3] صحيح البخاري: (2467)، صحيح مسلم: (2885).

[4] تهذيب اللغة (211/14).

[5] انظر: لسان العرب لابن منظور (317/13).

الفتنة التي يضيفها الله سبحانه إلى نفسه أو يضيفها رسوله إليه كقوله: {وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ} وقول موسى: {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ} فتلك بمعنى آخر وهي بمعنى الامتحان والاختبار والابتلاء من الله لعباده بالخير والشر بالنعم والمصائب فهذه لون وفتنة المشركين لون وفتنة المؤمن في ماله وولده وجاره لون آخر والفتنة التي يوقعها بين أهل الإسلام كالفتنة التي أوقعها بين أصحاب علي ومعاوية وبين أهل الجمل وصفين وبين المسلمين حتى يتقاتلوا ويتهاجروا لون آخر وهى الفتنة التي قال فيها النبي ﷺ: (ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي) وأحاديث الفتنة التي أمر رسول الله ﷺ فيها باعتزال الطائفتين هي هذه الفتنة

وقد تأتي الفتنة مرادا بها المعصية كقوله تعالى: {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي} يقوله الجد بن قيس لما ندبه رسول الله ﷺ إلى تبوك يقول: ائذن لي في القعود ولا تفتني بتعرضي لبنات بنى الأصفر فإني لا أصبر عنهن قال تعالى: {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} أي: وقعوا في فتنة النفاق وفروا إليها من فتنة بنات الأصفر"[6]

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله–: "وأصل الفتنة الامتحان والاختبار، واستعملت في الشرع في اختبار كشف ما يكره، ويقال فتنت الذهب إذا اختبرته بالنار لتنظر جودته، وفي الغفلة عن المطلوب كقوله " إنما أموالكم وأولادكم فتنة " وتستعمل في الإكراه على الرجوع عن الدين كقوله تعالى " إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ". قلت: واستعملت أيضا في الضلال والإثم والكفر والعذاب والفضيحة، **ويعرف المراد حيثما ورد بالسياق والقرائن.**"[7]

ومما ينبه إليه هنا أن الفتنة التي تكون عند الاختلاف والنزاع هي التي يلتبس الحق فيها بالباطل، ولا يظهر فيها الحق بل يبقى مشتبها على كثير من المسلمين قال حذيفة –رضي الله عنه–: "لا تضرك الفتنة ما عرفت دينك إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل فلم تدر أيهما تتبع فتلك الفتنة"[8]

التمسك بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة:

إن التمسك بالكتاب والسنة على هدي القرون الفاضلة ومن تبعهم بإحسان من أعظم ما يحرص عليه المجاهد في زمن الفتن فالاعتصام بهذا الحبل المتين هو سبيل النجاة في كل وقت وحين فمن اعتصم بحبل الله اهتدى ونجا قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

[6] زاد المعاد (150/3).

[7] فتح الباري (153/18).

[8] مصنف ابن أبي شيبة (38/14).

وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي و لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض).[9]

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى يحدث عن أبيه قال: لما وقع الناس في أمر عثمان ﷺ قلت لأبي بن كعب: أبا المنذر ما المخرج من هذا الأمر قال: كتاب الله وسنة نبيه ما استبان لكم فاعملوا به و ما أشكل عليكم فكلوه إلى عالمه".[10]

وهذا الاعتصام والتمسك بالكتاب والسنة ينبغي أن يقترن بهدي سلف الأمة بالفهم والعمل فهم من زكاهم الله ورضي عنهم وأمرنا بالاقتداء بهم قال الله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}، وقال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

وقال ﷺ: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي).[11]

وعن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله –ﷺ–ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة).[12]

اللجوء إلى الله بالقربات:

---

[9] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (2937).

[10] رواه الحاكم وصححه.

[11] حسنهُ الألباني في صحيح الترمذي: (2641).

[12] صححهُ الألباني في صحيح أبي داود: (4607).

إن من أعظم ما يعصم العبد في زمن الفتن هو اللجوء إلى الله والانشغال بطاعته وعبادته والأعمال الصالحة فالعبد الصالح إذا اشتبهت عليه الأمور لجأ إلى الحي القيوم بالدعاء والاستغفار والعبادة فلزوم الطاعات واللجوء إلى الله في زمن الفتن أعظم ما يعين العبد على الهداية والثبات فبها يرفع البلاء وتتنزل الهداية ويرزق العبد الثبات قال الله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}.

وقال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

وقال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا. وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا. وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}.

وقال النبي -ﷺ-قال: (العبادة في الهرج كهجرة إليَّ).[13] رواه مسلم

قال الإمام النووي: "المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس. وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد".[14]

وقال ابن رجب: "وفي صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: (العباد في الهرج كالهجرة إلي) وخرجه الإمام أحمد ولفظه: (العباد في الفتنة كالهجرة إلي) وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين فيكون حالهم شبيها بحال الجاهلية فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنا به متبعا لأوامره مجتنبا لنواهيه ومنها أن المفرد بالطاعة من أهل المعاصي والغفلة قد يدفع البلاء عن الناس كلهم فكأنه يحميهم ويدافع عنهم.....

قال بعض السلف: ذاكر الله في الغافلين كمثل الذي يحمي الفئة المنهزمة ولولا من يذكر الله في غفلة الناس لهلك الناس رأى جماعة من المتقدمين في منامهم كأن ملائكة نزلت إلى بلاد شتى فقال بعضهم لبعض: اخسفوا بهذه القرية فقال بعضهم: كيف نخسف بها وفلان قائم يصلي ورأى بعض المتقدمين في منامه من ينشد ويقول:

---

[13] صحيح مسلم: (2948).

[14] شرح النووي على مسلم (339/9).

لـــــولا الــــــذين لهـــــم ورد يصـــــــلونا وآخـــــرون لهـــم ســـــرد يصـــــومونا

لدكــــدكت أرضــــكم مــــن تحــــتكم ســــحرا لأنكــم قــوم ســوء مــا تطيعــونا".[15]

ونذكر إليك أخي الحبيب في الله ببعض العبادات والطاعات التي يحرص عليها العبد في زمن الفتن.

1. الصلاة:

الصلاة صلة بين العبد الصالح وربه تبارك وتعالى يتقرب بها إليه ويجد راحته فيها فهي له قرة عين ورفعة وسعادة وقرب من الله قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

كان رسول الله -ﷺ- يقول: (يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها)[16].

عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: (حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة، وجعلت قرة عيني في الصلاة)[17].

وقال ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء)[18].

وعن حذيفة قال: "كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى"[19].

- الدعاء والذكر:

الدعاء والذكر سلاح المؤمن في كل وقت وحين وخاصة في زمن الفتن والبلاء ففي زمن الفتن يحتاج المسلم أن يكثر من

---

15 لطائف المعارف (ص 138).

16 صححهُ الألباني في صحيح أبي داود: (4985).

17 صححهُ الألباني في صحيح النسائي: (3949).

18 صحيح مسلم: (482).

19 حسنهُ الألباني في صحيح أبي داود: (1319).

الاستغاثة والذكر والدعاء فإنه لا يثبت في الفتن إلا من ثبته الله ووقاه شرها فقد قال الله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}.

وقال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}.

وقال تعالى: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ}.

وقال تعالى: {اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى}.

وقال تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُون}.

وقال النبي ﷺ: (الدعاء هو العبادة قال ربكم: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}).[20]

وقال رسول الله ﷺ: (يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ هم خير منهم وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا وإن أتاني يمشى أتيته هرولة).[21]

وعن ابن عباس "أن رسول الله ﷺ، كان إذا حزبه أمر، قال: (لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله رب العرش الكريم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم) ثم يدعو".[22]

وقد أمرنا النبي ﷺ بالتعوذ من الفتن فقال: (تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن).[23]

وعن أنس ﷺ سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه المسألة فغضب فصعد المنبر فقال: (لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم). فجعلت أنظر يمينا وشمالا فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه فقال: يا رسول الله من أبي قال حذافة ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا نعوذ بالله من الفتن. فقال رسول الله ﷺ: (ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط)، وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}[24]

[20] صححهُ الألباني في صحيح أبي داود: (1479).

[21] صحيح البخاري: (7405)، صحيح مسلم: (2675).

[22] صححهُ الشيخ أحمد شاكر في تحقيقهِ لمسند الإمام أحمد (132/4).

[23] صحيح مسلم: (2867).

[24] صحيح البخاري: (6362)، صحيح مسلم: (2359).

وعن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: (دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له).[25]

وعن ابن عمر أنه كان يقول عند الصفا: "اللهم أحيني على سنة نبيك ﷺ وتوفني على ملته وأعذني من مضلات الفتن".[26]

وعن حذيفة قال: "ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا الذي يدعو بدعاء كدعاء الغريق".[27]

وقد وردت في السنة مجموعة من الأدعية والتعوذات والأذكار النبوية في الفتن ذكرها العلماء في مصنفاتهم تنظر هناك.

– التوبة والاستغفار:

إن التوبة من الذنوب وملازمة الاستغفار مما يعين العبد في مواجهة الفتن والكروب ويزده قوة في ذلك قال الله تعالى: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ}.

وقال تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

وقال تعالى: {وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ. فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ}.

وقال تعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ}.

قال الإمام الشنقيطي –رحمه الله–: "هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعا حسنا إلى أجل مسمى؛ لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه.

والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا، وأن المراد بالأجل المسمى: الموت، ويدل لذلك قوله تعالى في هذه السورة الكريمة عن نبيه هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم، وقوله تعالى عن «نوح»: فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل

---

25 صححهُ الألباني في صحيح الترمذي: (3505).

26 رواه البيهقي.

27 مصنف ابن أبي شيبة (38/14).

السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا، وقوله تعالى: من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الآية، وقوله: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض الآية، وقوله: ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وقوله: ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، إلى غير ذلك من الآيات....." [28]

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}.

وروى الطبري في تفسير هذه الآية عن أبي موسى قال: إنه كان قبلُ أمانان، قوله: "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون" قال: أما النبي ﷺ فقد مضى، وأما الاستغفار فهو دائر فيكم إلى يوم القيامة." [29]

وقال ابن تيمية –رحمه الله–: "فصل: في قوله تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} والكلام عليها من وجهين:

" أحدهما " في الاستغفار الدافع للعذاب.

و" الثاني " في العذاب المدفوع بالاستغفار.

أما " الأول ": فإن العذاب إنما يكون على الذنوب والاستغفار يوجب مغفرة الذنوب التي هي سبب العذاب فيندفع العذاب كما قال تعالى: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} فبين سبحانه أنهم إذا فعلوا ذلك متعوا متاعا حسنا إلى أجل مسمى ثم إن كان لهم فضل أوتوا الفضل.

وقال تعالى عن نوح: {يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ *أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} إلى قوله: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} الآية وقال تعالى: {وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} وذلك أنه قد قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} وقال تعالى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} وقال تعالى: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} وقال تعالى: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}.

---

[28] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (169/2).

[29] جامع البيان عن تأويل آي القرآن (513/13).

وأما العذاب المدفوع فهو يعم العذاب السماوي ويعم ما يكون من العباد وذلك أن الجميع قد سماه الله عذابا كما قال تعالى في النوع الثاني: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} وقال تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ} وكذلك: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا} إذ التقدير بعذاب من عنده أو بعذاب بأيدينا كما قال تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ}...."[30]

قال رسول الله ﷺ: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب) [31] رواه أبو داود وضعف سنده الشيخ الألباني ولكن معناه صحيح.

– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق:

إن من سبل النجاة من الفتن التي بينتها النصوص الشرعية النصح والتواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي من أسباب حفظ الفرد والمجتمع وسلامتهم من الفتن والبلاء قال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ}.

وقال الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فرحمة الله تتنزل على أهل الإيمان والعمل الصالح والتي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال الله تعالى: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}.

قال سيد قطب –رحمه الله– في تفسير هذه الآيات: "فهو واجب لله نؤديه: واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتخويف من انتهاك الحرمات، لنبلغ إلى الله عذرنا، ويعلم أن قد أدينا واجبنا. ثم لعل النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية فيثير فيها وجدان التقوى.

---

[30] مجموع الفتاوى (41/15).

[31] ضعفة الألباني في ضعيف أبي داود: (1518).

وهكذا انقسم سكان الحاضرة إلى ثلاث فرق.. أو ثلاث أمم.. فالأمة في التعريف الإسلامي هي مجموعة الناس التي تدين بعقيدة واحدة وتصور واحد وتدين لقيادة واحدة، وليست كما هي في المفهوم الجاهلي القديم أو الحديث، مجموعة الناس التي تسكن في إقليم واحد من الأرض وتحكمها دولة واحدة! فهذا مفهوم لا يعرفه الإسلام، إنما هي من مصطلحات الجاهلية القديمة أو الحديثة! وقد انقسم سكان القرية الواحدة إلى ثلاث أمم: أمة عاصية محتالة. وأمة تقف في وجه المعصية والاحتيال وقفة إيجابية بالإنكار والتوجيه والنصيحة. وأمة تدع المنكر وأهله، وتقف موقف الإنكار السلبي ولا تدفعه بعمل إيجابي.. وهي طرائق متعددة من التصور والحركة، تجعل الفرق الثلاث أمما ثلاثا! فلما لم يجد النصح، ولم تنفع العظة، وسدر السادرون في غيهم، حقت كلمة الله، وتحققت نذره.

فإذا الذين كانوا ينهون عن السوء في نجوة من السوء. وإذا الأمة العاصية يحل بها العذاب الشديد الذي سيأتي بيانه. فأما الفرقة الثالثة –أو الأمة الثالثة –فقد سكت النص عنها.. ربما تهوينا لشأنها –وإن كانت لم تؤخذ بالعذاب –إذ أنها قعدت عن الإنكار الإيجابي، ووقفت عند حدود الإنكار السلبي. فاستحقت الإهمال وإن لم تستحق العذاب:

«فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون. فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم: كونوا قردة خاسئين»

لقد كان العذاب البئيس –أي الشديد –الذي حل بالعصاة المحتالين، جزاء إمعانهم في المعصية –التي يعتبرها النص هي الكفر، الذي يعبر عنه بالظلم مرة وبالفسق مرة كما هو الغالب في التعبير القرآني عن الكفر والشرك بالظلم والفسق وهو تعبير يختلف عن المصطلح الفقهي المتأخر عن هذه الألفاظ إذ أن مدلولها القرآني ليس هو المدلول الذي جعل يشيع في التعبير الفقهي المتأخر –كان ذلك العذاب البئيس هو المسخ عن الصورة الآدمية إلى الصورة القردية! لقد تنازلوا هم عن آدميتهم، حين تنازلوا عن أخص خصائصها –وهو الإرادة التي تسيطر على الرغبة –وانتكسوا إلى عالم «الحيوان» حين تخلوا عن خصائص «الإنسان». فقيل لهم أن يكونوا حيث أرادوا لأنفسهم من الانتكاس والهوان! أما كيف صاروا قردة؟ وكيف حدث لهم بعد أن صاروا قردة؟ هل انقرضوا كما ينقرض كل ممسوخ يخرج عن جنسه؟ أم تناسلوا وهم قردة؟... إلى آخر هذه المسائل التي تتعدد فيها روايات التفسير... فهذا كله مسكوت عنه في القرآن الكريم وليس وراءه عن رسول الله –ﷺ –شيء.. فلا حاجة بنا نحن إلى الخوض فيه". [32]

وعن حذيفة قال: كنا عند عمر فقال أيكم سمع رسول الله –ﷺ–يذكر الفتن فقال قوم: نحن سمعناه. فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره قالوا: أجل. قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ولكن أيكم سمع النبي –ﷺ– يذكر الفتن التي تموج موج البحر قال حذيفة: فأسكت القوم فقلت: أنا. قال: أنت لله أبوك. قال حذيفة: سمعت رسول

---

[32] في ظلال القرآن (1384/3).

الله –ﷺ– يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه). قال حذيفة وحدثته أن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر. قال عمر أكسرا لا أبا لك فلو أنه فتح لعله كان يعاد. قلت لا بل يكسر. وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت. حديثا ليس بالأغاليط. قال أبو خالد فقلت لسعد يا أبا مالك ما أسود مربادا قال شدة البياض في سواد. قال قلت فما الكوز مجخيا قال منكوسا". [33]

وعن نعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا). [34]

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من السفن النجاة عندما تضطرب الفتن والمنكرات وتموج في المجتمعات.

– متابعة الرسول ﷺ والبعد عن الابتداع والهوى:

إن مخالفة أمر الرسول ﷺ وعدم اتباعه من أعظم أسباب الفتنة كما بين ذلك ربنا تبارك وتعالى في كتابه فقال: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

وقد قَرَن الهداية ودخول الجنة بطاعة رسوله الكريم {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}.

وقال رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني) [35]

وروى الدارمي عن عمر بن يحي قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد قلنا لا

---

[33] صحيح مسلم: (144).

[34] صحيح البخاري: (7137)، صحيح مسلم: (1835).

[35] ظلال القرآن

فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعا فقال له أبو موسى يا أبا عبد الرحمن اني رأيت في المسجد أنفا أمرا أنكرته ولم أر والحمد لله الا خيرا قال فما هو فقال ان عشت فستراه قال رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول هللوا مائة فيهللون مائة ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة قال فماذا قلت لهم قال ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك قال أفلا أمرتهم ان يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ان لا يضيع من حسناتهم ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال ما هذا الذي أراكم تصنعون قالوا يا أبا عبد الله حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح قال فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن ان لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وأنيته لم تكسر والذي نفسي بيده انكم لعلي ملة هي أهدي من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة قالوا والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا الا الخير قال وكم من مريد للخير لن يصيبه ان رسول الله ﷺ حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم فقال عمرو بن سلمة رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج".[36]

فالفتنة كل الفتنة بمخالفة ما جاء به الرسول الكريم ﷺ قال الله تعالى: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

- العلم والرجوع لأهل العلم الربانيين:

إن الجهل والخوض في المسائل والأحداث دون العلم سبب من أسباب الوقوع في الفتن والضلال

قال الله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}.

وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

وقال رسول الله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).[37]

وقال رسول الله -ﷺ-: (يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج). قالوا وما الهرج قال

---

[36] سنن الدارمي (210).

[37] صحيح البخاري: (100)، صحيح مسلم: (2673).

(القتل).[38]

فالعاقل من يسأل ويبحث ويقرأ قبل أن يقدم على أي مشروع أو نازلة قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.

قال رسول الله -ﷺ-: (يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين)[39]

وعن جابر قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشده في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: (قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال).[40]

وقد كان من هدي السلف -رحمهم الله-السؤال عما يشتبه من أحداث ومسائل قبل الخوض فيها صحيح مسلم قال حذيفة بن اليمان: "كان الناس يسألون رسول الله -ﷺ-عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر قال (نعم) فقلت هل بعد ذلك الشر من خير قال (نعم وفيه دخن). قلت وما دخنه قال (قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر). فقلت هل بعد ذلك الخير من شر قال (نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها). فقلت يا رسول الله صفهم لنا. قال (نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا). قلت يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك قال (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم). فقلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام قال (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).[41]

وعن ابن بريدة عن يحي بن يعمر قال كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله -ﷺ- فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلى فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم – وذكر من شأنهم – وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريئ منهم وأنهم برآء مني

---

[38] صحيح البخاري: (7061)، صحيح مسلم: (157).

[39] قال الألباني في تخريج مشكاة المصابيح: (مرسل، لكن روي موصولا من طريق جماعة من الصحابة، وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي).

[40] حسنهُ الألباني في صحيح أبي داود: (336).

[41] صحيح البخاري: (7084)، صحيح مسلم: (1847).

والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر...". [42]

وقال ابن القيم –رحمه الله-: "وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه –يعني شيخ الإسلام ابن تيمية–قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا وأقواهم قلبا وأسرهم نفسا تلوح نضرة النعيم على وجهه وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة". [43]

- دراسة التاريخ والنظر في عواقب الأحداث وما ينتج عنها من مفاسد ومصالح:

ومما يساعد العبد على الرشد والسداد في زمن الفتن بإذن الله النظر فيما يتشابه من أحداث ووقائع وكيف تعامل معها السابقون وكذلك دراسة عواقب ومآلات الأحداث وعواقبها دراسة صحيحة مبنية على العلم وربط الأسباب بالمسببات لا على الوهم والخيالات والظنون قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

وقال تعالى: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}.

وقال لإمام الشاطبي –رحمه الله-: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل مشروعا لمصلحة فيه تستجلب أو لمفسدة تدرأ ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به ولكن له مآل على خلاف ذلك فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى المفسدة تساوى المصلحة أو تزيد عليها فيكون هذا مانعا من إطلاق القول بالمشروعية وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم مشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية وهو مجال للمجتهد صعب المورد إلا أنه عذب المذاق محمود الغب جار على مقاصد الشريعة". [44]

وقال الإمام ابن القيم –رحمه الله-: "فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات

---

[42] صحيح مسلم: (8).

[43] الوابل الصيب – ص67.

[44] الموافقات (194/4).

والعوائد "بناء الشريعة على مصالح العباد في المعاش والمعاد".

هذا فصل عظيم النفع جدا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة........

فإنكار المنكر أربع درجات:

1. الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.
2. الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته
3. الثالثة أن يخلفه ما هو مثله
4. الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه

فالدرجتان الأوليان مشروعتان والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة". [45]

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله–""فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورا به؛ بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته؛ **لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها** وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر وقل إن تعوز النصوص من يكون خبيرا بها وبدلالتها على الأحكام. وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما؛ بل إما أن يفعلوهما جميعا؛ أو يتركوها جميعا: لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا من منكر؛ ينظر: فإن كان المعروف أكثر أمر به؛ وإن استلزم ما هو دونه من المنكر. ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه؛ بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله وزوال فعل الحسنات وإن كان المنكر أغلب نهى عنه؛ وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف. ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرا بمنكر وسعيا في معصية الله ورسوله. وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما. فتارة يصلح الأمر؛ وتارة يصلح النهي؛ وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المعروف والمنكر متلازمين؛ وذلك في الأمور المعينة الواقعة". [46]

---

[45] إعلام الموقعين (4/3).

[46] مجموع الفتاوى (28/129-130).

وهنا نشير إلى ما نبه إليه شيخ الإسلام بقوله: "لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر وقل إن تعوز النصوص من يكون خبيرا بها وبدلالتها على الأحكام وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر...."

وكذلك لا بد أن ننبه هنا إلى أنه إذا تعارضت المصالح قدمنا أعظمها على ما دونها وإذا تعارضت المفاسد دفعنا أعظمها قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "فإن مدار الشريعة على قوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} المفسر لقوله: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} وعلى قول النبي ﷺ: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) أخرجاه في الصحيحين[47]. وعلى أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها؛ وتعطيل المفاسد وتقليلها فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناها: هو المشروع. والمعين على الإثم والعدوان من أعان الظالم على ظلمه أما من أعان المظلوم على تخفيف الظلم عنه أو على أداء المظلمة: فهو وكيل المظلوم؛ لا وكيل الظالم؛ بمنزلة الذي يقرضه أو الذي يتوكل في حمل المال له إلى الظالم. مثال ذلك ولي اليتيم والوقف إذا طلب ظالم منه مالا فاجتهد في دفع ذلك بمال أقل منه إليه أو إلى غيره بعد الاجتهاد التام في الدفع؛ فهو محسن وما على المحسنين من سبيل". [48]

– التثبت من التبين من الأخبار والوقائع:

إن الأخبار والروايات والقيل والقال تكثر في أيام الفتن فينبغي على العبد التثبت والتبين فقد قيل قديما وما آفة الأخبار إلا رواتها فبعض الأخبار والروايات تكون غير صحيحة وبعضها نقلت لك حسب فهم الناقل للحدث لا كما هو الواقع والحادثة وقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}.

وقال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ

---

[47] صحيح البخاري: (7288)، صحيح مسلم: (1337).

[48] مجموع الفتاوى (28/284-285).

تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "فليس لأحد أن يحمل كلام أحد من الناس إلا على ما عُرف أنه أراده، لا على ما يحتمله ذلك اللفظ في كلام كل أحد". [49]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله –: "وكثير من الناقلين ليس قصده الكذب، لكن المعرفة بحقيقة أقوال الناس من غير نقل ألفاظهم، وسائر ما به يعرف مرادهم قد يتعسر على بعض الناس، ويتعذر على بعضهم". [50]

وقال ابن القيم –رحمه الله–: "ما أكثر ما ينقل الناس المذاهب الباطلة عن العلماء بالأفهام القاصرة" [51]

– موقع الكلمة في الفتن:

إن العبد مأمور بحفظ لسانه في كل وقت ولكن هذا الأمر يتأكد بشكل أكبر في زمن الفتن فإن للكلمة في زمن الفتنة أثرا كبيرا كما هو مشاهد ومجرب عبر التاريخ فالعاقل الفطن من حفظ لسانه في الفتنة وغيرها ولم يتكلم إلا بخير قال الله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ"

وقال رسول الله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) [52] وقال ﷺ: (من صمت نجا). [53]

وقال ابن عبد البر: "قال حذيفة بن اليمان ﷺ: «الفتنة تُلْقَح بالنجوى، وتُنْتَج بالشكوى». أخذ نصر بن سيار قول حذيفة هذا، والله أعلم، حين قال: إن الحرب أوّلها الكلام وهي أبيات كتبها إلى مروان بن محمد:

[49] مجموع الفتاوى (36/7).

[50] منهاج السنة النبوية (193/6).

[51] مدارج السالكين (431/2).

[52] صحيح البخاري: (6018)، صحيح مسلم: (47).

[53] صححهُ الألباني في صحيح الجامع: (6367).

أرى خلـــــل الرّمـــــاد ومـــــيض نار ويوشـــك أن يكـــون لهـــا ضـــرام

فـــإن النّـــار بالعـــودين تـــذكى وإنّ الحـــــرب أوّلهـــــا الكـــــلام

فقلــت مــن التّعجــب ليــت شــعري أأيقـــــاظٌ أميّـــــة أم نيـــــام". [54]

وقال عمر رضي الله عنه: "إن لله عباداً يميتون الباطل بهجره، ويحيون الحق بذكره". [55]

الصبر والثبات وحسن الظن بالله

إن الصبر والثبات وحسن الظن بالله مما ينبغي أن يتمسك به العبد في زمن الفتن والمحن أشد التمسك فمن لم يتمسك بهما لا يستطيع مقاومة الفتن وتوابعها فكثير ممن انتكس والعياذ بالله في الفتنة إنما أوتي من عدم الصبر وسوء الظن بالله

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

وقال الله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}.

وقال الله تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}.

وقال رسول الله ﷺ: (وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا)[56]

وقال رسول الله ﷺ: (إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن يومئذ بما أنتم عليه أجر خمسين منكم) قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: (بل منكم). [57]

قال رسول الله صلى الله عليه: (إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلى فصبر فواها) [58]

---

[54] بهجة المجالس – ص102.

[55] حلية الأولياء (55/1).

[56] صححهُ الألباني في السلسلة الصحيحة: (2382).

[57] صححهُ الألباني في السلسلة الصحيحة: (494).

[58] صححهُ الألباني في صحيح أبي داود: (4263).

وقال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة). [59]

وروى الترمذي شهر بن حوشب قال قلت لأم سلمة: يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت كان أكثر دعائه (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) قالت قلت يا رسول الله ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ قال: (يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ). [60]

فلا بد من الصبر وحسن الظن في الفتن فالفتنة تزول ولا تدوم والسعيد فيها من صبر وأخذ بأسباب النجاة وفوض أمره لله

الحلم والأناة والرفق:

إن الحلم والأناة من الخصال التي يحبها الله ويمدح العبد الذي يتصف بهما لما فيهما من خير وإعانة لصاحبها على اتخاذ القرارات والآراء السديدة فقد قال رسول الله –ﷺ–للأشج أشج عبد القيس: (إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة). [61]

وقال رسول الله ﷺ: (التأني من الله والعجلة من الشيطان). [62]

وقال النبي ﷺ: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه). [63]

---

59 صحيح البخاري: (7405)، صحيح مسلم: (2675).

60 صححهُ الألباني في صحيح الترمذي: (3522).

61 صحيح مسلم: (4059).

62 حسنهُ الألباني في صحيح الترغيب: (1572).

63 صحيح مسلم: (2594).

اجتناب الفتن والابتعاد عنها:

إن مما ينصح به العبد في زمن الفتن أن يبتعد عن الفتنة فإن في البعد عن الفتن السلامة والنجاة فكم من عبد سعى في الفتنة واستشرفها فكان في ذلك هلاكه فالسعيد في زمن الفتنة من اجتنبها وابتعد عنها قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

وقال رسول الله صلى الله عليه: (إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلى فصبر فواها).[64]

وقال النبي -ﷺ-: (تكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي فمن وجد ملجأ أو معاذا فليستعذ).[65] رواه مسلم

وقال ابن الجوزي -رحمه الله-: "من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة، ومن ادعى الصبر وكل إلى نفسه، وربَّ نظرةٍ لم تناظِر".[66]

لزوم الجماعة والبعد عن الفرقة والاختلاف مع التعاون على البر والتقوى:

إذا قامت الفتنة وكان للمسلمين جماعة أو كان هناك طائفة المسلمين اجتمعوا على حق ومعروف فإن لزوم الجماعة والتعاون على البر والتقوى والبعد عن الفرقة في زمن الفتنة مما يساعد العبد على النجاة من الفتنة قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.

وقال الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

وقال تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}.

---

[64] صححهُ الألباني في صحيح أبي داود: (4263).

[65] صحيح مسلم: (2886).

[66] صيد الخاطر – ص3.

وقال رسول الله عليه وسلم: (الجماعة رحمة والفرقة عذاب). [67]

وقال رسول الله ﷺ: (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العلم لله ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن الدعوة تحيط من ورائهم). [68]

وقال حذيفة بن اليمان: " كان الناس يسألون رسول الله –ﷺ–عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر قال: (نعم) فقلت هل بعد ذلك الشر من خير قال (نعم وفيه دخن). قلت وما دخنه قال: (قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر). فقلت هل بعد ذلك الخير من شر قال: (نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها). فقلت يا رسول الله صفهم لنا. قال: (نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا). قلت يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم). فقلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) ". [69]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله –: "والبدعة مقرونة بالفرقة كما ان السنة مقرونة بالجماعة فيقال أهل السنة والجماعة كما يقال أهل البدعة والفرقة." [70]

السمع والطاعة في المعروف:

ويتفرع عن وجوب لزوم الجماعة وجوب السمع والطاعة في المعروف في حدود طبيعة الجماعة الموجودة سواء كانت إمامة عظمى أو طائفة وجماعة اجتمعت على حق أو معروف فإن السمع والطاعة في المعروف يوحد صف الجماعة والأفراد في مواجهة الفتنة والخروج منها قال رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني). [71]

وهذه الطاعة تكون في المعروف كما أشرنا لحديث الإمام مسلم عن أبي عبد الرحمن عن على قال" بعث رسول الله –

---

[67] حسنة الألباني في صحيح الجامع: (3109).

[68] صححة الألباني في صحيح الترمذي: (2658).

[69] صحيح البخاري: (7084)، صحيح مسلم: (1847).

[70] الاستقامة – ص42.

[71] صحيح البخاري: (7173)، صحيح مسلم: (1835).

ﷺ-سرية واستعمل عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا فأغضبوه في شيء فقال اجمعوا لي حطبا. فجمعوا له ثم قال أوقدوا نارا. فأوقدوا ثم قال ألم يأمركم رسول الله -ﷺ-أن تسمعوا لي وتطيعوا قالوا بلى. قال فادخلوها. قال فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا إنما فررنا إلى رسول الله -ﷺ-من النار. فكانوا كذلك وسكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي -ﷺ-فقال (لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف). [72]

رد المتشابه إلى المحكم والرجوع للمتفق عليه من الحق قبل الفتنة:

إن من القواعد التي ينبغي أن تراعى في زمن الفتن لزوم المحكم من الأقوال والأفعال والأحكام ورد ما أشكل وتشابه من أقوال وأفعال وأحكام إليه وكذلك الرجوع بالأمور لما كانت عليه من الحق المتفق عليه قبل الفتنة.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله -ﷺ-قال: (يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا). وشبك بين أصابعه فقالوا وكيف بنا يا رسول الله قال: (تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم). [73]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه قال: "إنما كان مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها فبينما هم كذلك إذ غشيتهم سحابة وظلمة فأخذ بعضهم يمينا وشمالا فأخطأ الطريق وأقمنا حيث أدركنا ذلك حتى جلى الله ذلك عنا فأبصرنا طريقنا الأول فعرفناه وأخذنا فيه وإنما هؤلاء فتيان قريش يقتتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا ما أبالي أن يكون لي ما يقتل بعضهم بعضا بنعلي هاتين الجرداوين". [74]

قال حذيفة: إن الفتنة لتعرض على القلوب، فأي قلب أشربها نقط على قلبه نقط سود، وأي قلب أنكرها نقط على قلبه نقطة بيضاء، فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا، فلينظر، فإن رأى حراما ما كان يراه حلالا أو يرى حلالا ما كان يراه حراما فقد أصابته.

وقال أبو المقدام هشام بن زياد عن مُحَمَّد بن كعب القرظي أنه سئل ما علامة الخذلان قال إن يستقبح الرجل ما كان يستحسن ويستحسن ما كان قبيحا". [75]

---

[72] صحيح البخاري: (7145)، صحيح مسلم: (1840).

[73] صححهُ الألباني في صحيح أبي داود: (4342).

[74] حلية الأولياء (309/1).

[75] حلية الأولياء (214/3).

غياب حاكمية الشريعة أعظم ما حل بالمسلمين في هذا الزمان:

وننهي هذا البحث بالإشارة إلى أن غياب حاكمية الشريعة عن بلاد المسلمين هي أعظم ما حل بأهل الإسلام في هذا الزمان وأن تقصير المسلمين في الوقوف في وجه الطواغيت المبدلين لشرع رب العالمين ساهم في انتشار كثير من الفتن والمصائب فقضية تحكيم شرع الله مسألة واضحة بينة لا يخفى وجه الحق فيها فقد نقل الحافظ ابن كثير الإجماع على كفر الحاكم المستبدل لشرع الله بغيره من القوانين فقال –رحمه الله– : "وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الانبياء عليهم الصلاة والسلام، **فمن ترك الشرع المحكم المنزل على مُحَمَّد بن عبد الله خاتم الانبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين**.

قال الله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}، وقال تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}" [76]

وقال مُحَمَّد بن إبراهيم –رحمه الله–: " **إنّ من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب مُحَمَّد** ﷺ، **ليكون من المنذرين**، بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين، والرّدِّ إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عزّ وجلّ: {فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}.

وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عمن لم يُحَكِّموا النبي ﷺ، فيما شجر بينهم، نفيا مؤكدا بتكرار أداة النفي وبالقسم، قال تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

ولم يكتف تعالى وتقدس منهم بمجرد التحكيم للرسول ﷺ، حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم، بقوله جل شأنه: {ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ}. والحرج: الضيق. بل لا بدّ من اتساع صدورهم لذلك وسلامتها من القلق والاضطراب.

ولم يكتف تعالى أيضا هنا بهذين الأمرين، حتى يضموا إليهما التسليم: وهو كمال الانقياد لحكمه ﷺ، بحيث يتخلّون ها هنا من أي تعلق للنفس بهذا الشيء، ويسلموا ذلك إلى الحكم الحق أتمّ تسليم، ولهذا أكّد ذلك بالمصدر المؤكّد، وهو

---

[76] البداية والنهاية (139/13).

قوله جلّ شأنه: {تَسْلِيمًا} المبيّن أنه لا يُكتفى ها هنا بالتسليم.. بل لا بدّ من التسليم المطلق." [77]

فالمسألة واضحة جلية ومحل إجماع عند أهل العلم السابقين وليست من مسائل الخلاف حتى يلبس علماء السوء على المسلمين دينهم فيها فتعرية هؤلاء الطواغيت وبيان ضلالهم والوقوف في وجههم من أعظم القربات وليست من الفتن فإن الفتنة اليوم هي في السكوت عن هؤلاء الطواغيت المبدلين لشرع رب العالمين الحاكمين فيها بين المسلمين فيجب على العلماء والدعاة اليوم اظهار هذه المسألة والدعوة إليها فقد عمل الطواغيت وأنصارهم على وتشويهها وصد الناس عنها لأنهم يعلمون أن في سيادة الشريعة نهاية لباطلهم وضلالهم.

كتبه/ د. سامي العريدي

8 صفر 1438 هـ

[77] رسالة تحكيم القوانين – ص1.